جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

وصف الطبيعة
في الشعر العربي القديم
(دراسة نقدية موازنة
بين ابن خفاجة والصنوبري)

الدكتورة

لطيفة عثمان أحمد إدريس

أستاذ الأدب والنقد المساعد-كلية العلوم والآداب بسراة عبيدة -
جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكر وتقدير)

(الباحثة تود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

وصف الطبيعة في الشعر العربي القديم

(دراسة نقدية موازنة بين ابن خفاجة والصنوبري)

لطيفة عثمان أحمد إدريس

قسم الأدب والنقد- كلية العلوم والآداب بسراة عبيدة- جامعة الملك خالد ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: lidris@kku.edu.sa

الملخص :

عُرف الأندلسيون بشخصية مميزة أسهمت في تكوينهم وأخيلتهم وأصلهم وموضع بلادهم؛ فالإقليم مختلف الطبيعة منقسم الجهات متباين الأصقاع، وقد سبَّب ذلك اختلافاً في طبيعة السكان، كان له أثر كبير في نفوس الناس وطباعهم وفنونهم، وانعكس ذلك في خصوبة خيالهم وجمال طباعهم ورقة إحساسهم، الأمر الذي أبدى تأثير تلك الطبيعة على الشخصية الأندلسية.

وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي وما يتيحه من أدوات مساعدة كالنقد والتحليل ... إلخ

هذا؛ وقد تهيأت لابن خفاجة ظروف مواتية سمحت له بمخالطة الشيوخ، وغلب عليه العناية بالأدب واللغة ونظم الشعر، فاتجه نحو المؤلفات الأدبية والمعلقات، وأشعار الشعراء الستة الجاهلية، وأشعار هذيل، وديوان ذي الرمة، وديوان الصنوبري، ثم أخذ من أبي الطيب المتنبي طريقته في مزج الحماسة بالغزل.

أما الصنوبري فقد نشأ في العصر العباسي الثاني وتأثّر به، ومن ثم فهي بيئة تماثل البيئة الأندلسية وقد تكون مثلها. وقد طرق الصنوبري الأساليب العلمية وسبل العلماء في التعبير، وقد كانت مسالك التأثير والتأثر بين أساليب العلم والشعر، فقد استخدم أساليب سلسة رشيقة فيها عذوبة ونقاء مستمدة من البيئة..

الكلمات المفتاحية : وصف الطبيعة ، الشعر العربي القديم ، دراسة نقدية ، دراسة موازنة ، ابن خفاجة ، الصنوبري .

Description of nature in ancient Arabic poetry

(A balancing critical study between Ibn Khafajah and Al-Senoubri)

Latifa Othman Ahmed Idris

Department of Literature and Criticism - College of Science and Arts in Sarat Abidah - King Khalid University - Kingdom of Saudi Arabia

Email: lidris@kku.edu.sa

Abstract

Andalusians were known for a distinctive personality who contributed to their formation, imagination, origin and country. The region is different in nature, divided into different regions, and this caused a difference in the nature of the population, which had a great impact on the souls of people, their character and their arts, and this was reflected in the fertility of their imagination, the beauty of their character and their sense of paper, which showed the effect of that nature on the Andalusian character.

In that, we relied on the descriptive method and the auxiliary tools it provides, such as criticism and analysis ... etc.

This; Favorable conditions were created for Ibn Khafajah that allowed him to mix with the sheikhs, and he took care of literature, language and poetry systems, so he turned towards literary books and commentaries, the poems of the six pre-Islamic poets, Hudail's poems, the Divan of Dhul-Ramah, and Diwan Al-Senoubri, then he took from Abu Al-Tayyib Al-Mutanabi his method of mixing enthusiasm. Spinning.

As for Al-Sanoubari, it arose in the second Abbasid era and was affected by it, and then it is an environment that resembles the Andalusian environment and may be like it. Al-Sanoubari used the scientific methods and the means of scholars in expression. The paths of influence and influence were between the methods of science and poetry. He used graceful, smooth methods that contain freshness and purity derived from the environment.

Keywords : Description of Nature, Ancient Arabic Poetry, Critical Study, Balancing Study, Ibn Khafajah, Al-Senoubri.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عُرف الأندلسيون بشخصية مميزة أسهمت في تكوينهم وأخيلتهم وأصلهم وموضع بلادهم؛ فالإقليم مختلف الطبيعة منقسم الجهات متباين الأصقاع، وقد سبَّب ذلك اختلافاً في طبيعة السكان، كان له أثر كبير في نفوس الناس وطباعهم وفنونهم، وانعكس ذلك في خصوبة خيالهم وجمال طباعهم ورقة إحساسهم، الأمر الذي أبدى تأثير تلك الطبيعة على الشخصية الأندلسية .

وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي وما يتيحه من أدوات مساعدة كالنقد والتحليل ... إلخ

هذا؛ وقد تهيأت لابن خفاجة ظروف مواتية سمحت له بمخالطة الشيوخ، وغلب عليه العناية بالأدب واللغة ونظم الشعر، فاتجه نحو المؤلفات الأدبية والمعلقات، وأشعار الشعراء الستة الجاهلية، وأشعار هذيل، وديوان ذي الرمة، وديوان الصنوبري، ثم أخذ من أبي الطيب المتنبي طريقته في مزج الحماسة بالغزل .

أما الصنوبري فقد نشأ في العصر العباسي الثاني وتأثّر به، ومن ثم فهي بيئة تماثل البيئة الأندلسية وقد تكون مثلها .وقد طرق الصنوبري الأساليب العلمية وسبل العلماء في التعبير، وقد كانت مسالك التأثير والتأثر بين أساليب العلم والشعر، فقد استخدم أساليب سلسة رشيقة فيها عذوبة ونقاء مستمدة من البيئة .

وفي هذا الجانب نتناول بشيء من التفصيل الموازنة بين شعر الطبيعة عند ابن خفاجة والصنوبري الأندلسييْن .

عصر ابن خفاجة الأندلسي وحياته:

أ / الحياة السياسية:

كانت إسبانيا في الفترة الأخيرة من الحكم القوطي ضعيفة سياسياً واجتماعياً مما جعلها فريسة لأي فاتح أو غازٍ،" وكان المجتمع مقسماً إلى طبقات؛ طبقة الملك والنبلاء، وطبقة رجال الدين، وطبقة وسطى هي الطبقة العصامية الحرة المستنيرة وكانت الحالة السياسية مستقرة"(١).

واستمرت الخلافة الأموية في الأندلس تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية إلى أن جاء الحاجب المنصور بن أبي عامر وأبناؤه وانتزعوا السلطة الزمنية على عهد الخليفة الأموي هاشم المؤيد، وعزّ على المضريين أن تنتقل الخلافة عن قريش فانبعثت العصبية العربية القديمة، وانتهز الأمويون والمغربيون فرصة غياب عبد الرحمن العامري وخلعوا هاشماً عن العرش وولوا بدلاً عنه الناصر(٢).

وكانت الفترة الباقية من العصر الأموي بالأندلس مليئة بالفتن والاضطرابات، وفي سنة412 هـ سقطت الدولة الأموية بعد عزل آخر خلفائها .

---

(١) الحالة السياسية في تاريخ المغرب والأندلس، د. أحمد مختار العبادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ص٥١-٥٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب /الحياة الاجتماعية:

لقد ضمّ المجتمع الأندلسي أجناساً من البشر ذوي عقائد وعادات مختلفة من عرب وبربر ويهود وأسبان .وقد انقسمت الحياة الاجتماعية في جميع أنحاء الدولة إلى طبقات اجتماعية أربعٍ؛ كانت الطبقة الأولى العليا هي طبقة العرب المسلمين الذين فتحوا الأندلس، ولم يكن عدد الذين اعتنقوا الإسلام كبيراً .

يلي هذه الطبقة العرب المسلمون الموالي أي المسلمون من غير العرب الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فأصبحوا يتمتعون بحقوق الرعاية الإسلامية، ثم كانت الطبقة الثالثة من أهل الذمة وهم أهل الكتاب من نصارى ويهود، وكان قد اشترط عليهم ألا يحملوا السلاح، وأن يؤدوا الجزية مقابل الحماية الإسلامية لهم. وقد ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الأندلسي هي طبقة المماليك الذين كانوا يقومون في أول أمرهم بوظيفة الجند، ثم ما لبثت هذه المجموعات غير المتشابهة من البشر، في ظل الحضارة التي أطلت على الأندلس بجهود الحكام العرب وعبقرية الوافدين من الشرق وما يمثله ذلك من قمة التقدم الفكري وذروة النهوض الحضاري، أن انصهرت معاً تحت ظلال هذه الحضارة، وجنت ثمارها نعيماً واستقراراً وعلماً وثقافةً وفنوناً ورغداً في الحياة .

والأندلس بلاد جميلة حباها الله الخضرة والماء والبساتين والأنهار، ثم أضفت الحضارة الجديدة عليها من الرقي ما جعل سكانها يحافظون على روح الجمال الطبيعي في بلدهم ويزيدون فيه؛ وهذا ابن خفاجة يصف الأندلس بقوله:

إن للجنـــــــة بالأنـــــــدلس مجتلـــي حُســـنٍ وريّـــا نَفَـــسِ
فســـنا صـــبحتها مـــن شـــنبٍ ودجـــى ليلتهـــا مـــن لعـــسِ
فـــإذا مـــا هبـــت الـــريح صـــباً صـــحت وا شـــوقي إلى الأنـــدلسِ[١]

والمجتمع الأندلسي له صفات تميزه من غيره من المجتمعات الإسلامية ما بين علم ودين وثقافة وعمل ونظافة وأناقة وترتيب في أحوال المعيشة وحُب العدل وإجلال للعلماء[٢].

كما أنه شعب مقبل على العلم، ومن ثم كان علماؤهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم، وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى ما عرف بالعلم أصبح في مقام التكريم والإجلال .

ومن" أهم العلوم التي يقبل عليها الأندلسيون الفقه والحديث وعلم الأصول والقراءات والنحو وعلم اللغة، وكان للفقيه مكانته وللشاعر وجاهته"[٣].

وشعب الأندلس، بالإضافة إلى هذه الصفات الجليلة، شعب متدين، ومن ثم فإنهم يجلّون علماء الدين ويحترمونهم ويعظمون الفقهاء ويوقرونهم، وكانوا إذا أرادوا تعظيم أمير لقبوه بالفقيه، وكلمة فقيه تعد أرفع السمات، وكانوا في تدينهم يقيمون الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم وينكرون التهاون فيها أو تعطيلها .

---

(١) ديوان ابن خفاجة، د. السيد مصطفى غازي، الناشر دار المعارف، الإسكندرية، ص١٣٦.
(٢) الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، ص٧١.
(٣)الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٧٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان المسلمون جميعهم على مذهب أهل السنة، وكان لأهل الأندلس حسن تدبير وبعد عن الإسراف .

ج /الشخصية الأندلسية:

كان لطبيعة الأندلس وموضعها أكبر الأثر في تكوين الشخصية الأندلسية؛ إذ كان أهل الأندلس مولدين من عرب وإسبان شرقيين وغربيين، وقد اختلطت هذه الدماء حتى أضحى العنصر الإسباني ذا خصائص خلقية ونفسية مميزة؛ أهمها :البياض المشرب بحمرة وقد يمتزجان فيصيران سمرة في الجنوب، ثم القوام المعتدل الطول، والشعر الذي يغلب عليه السواد(١).

هذا؛ فضلا عن وسامة في الملامح وجمال في التكوين .أما خصائصهم الخلقية فبدت في المحافظة على الأصول والأخلاق العامة مع ميل إلى التحرر والانطلاق وحبّ للترخيص وبغض للتزمت .

أما أهم خصائص الأندلسيين النفسية فبدت في الإحساس الذي يكاد يكون عقدة نقص عانى منها الأندلسيون بسبب وضعهم من المشارقة؛ فالمشارقة كانوا في مهد الثقافة الإسلامية وكانت بلادهم منبع اللغة العربية وإقليمهم مصدر الاتجاهات الأدبية(٢).

ولهذا كان الأندلسيون يشعرون بنوع من التخلف عن المشارقة، ويحاولون مضاعفة جهدهم لتأكيد تفوقهم على الرغم من بعدهم .

---

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٦٣.

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، أحمد هيكل، ص١١٠.

حياة ابن خفاجة :

أ /مولده:

ولد "أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة بجزيرة شقر"[١] في سنة خمسين وأربعمائة للهجرة، وتوفى بها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة لأربعٍ بقين من شوال يوم الأحد[٢] وتقع "جزيرة شقر شرق الأندلس بين شاطبة وبلنسية بينها وبين البحر الأبيض"[٣] ، وقد حولها العرب إلى بستان حقيقي بعد أن أفادوا من مياه النهر؛ فأنشأوا السواقي لري الأرض القاحلة فتحولت إلى جنان، وفيها أيضا منتزه الرصافة الذي تغنى به ابن خفاجة؛" قال أبو عبد الله محمد بن عبد الله المكناسي : سألت ابن خفاجة عن مولده فقال : ولدت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة"[٤]، ولكن المرجح أنه ولد في سنة خمسين وأربعمائة كما ذكر ابن بسام وابن خاقان .

---

(١) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص١٧٥.

(٢) الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، مطبعة بيروت، ١٩٢٧م، ج١، ص٥٧. وفي وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه إحسان عباس، ج١، ص٥٦. وفي دائرة المعارف، بطرس البستاني، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص٤٦٠. وفي بغية الوعاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ج١، ص٤٢٢.

(٣) الروض المعطار في خير الأقطار، معجم جغرافي، محمد بن عبد الله الحميدي، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ص٩٧.

(٤) تكملة الصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، المعروف بابن الأبار، مطبعة السعادة، ج١، ص١٤٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب /ثقافته:

كانت الحياة في الأندلس حياة ترف ورخاء، وتبع هذا الترف الميل إلى اللهو والمجون وأنواع السرور وتَقلَب هذه الحالة على عقول الأدباء .

وتهيأت لابن خفاجة ظروف مواتية سمحت له التوفر على طلب العلم ومخالطة الشيوخ .وقد عكف ابن خفاجة في شبابه على الدروس وجنح إلى كتب الأدب؛ يقول :"أما بعد، فإني كنت والشباب يرفّ غضارة ويخفّ بي غرارة فأقوم طوراً وأقعد تارةً، وقد جنحت إلى كتب الأدب أرتاده مرتعاً وأرده مشرعاً"(١).

وقد نشأ ابن خفاجة في بيت علم وأدب، وأقبل على الدروس وسرعان ما تفتحت مواهبه الشعرية ولمع اسمه واشتهر(٢)، كما غلبت على ابن خفاجة العناية بالأدب واللغة ونظم الشعر فاتجه نحو المؤلفات الأدبية والمعلقات السبع بشرح أبي جعفر النحاس(٣)، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين،(٤) وأشعار هذيل، وديوان ذي الرمة(٥)، وديوان الصنوبري(٦)،

(١) ديوان ابن خفاجة. تحقيق السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٦.
(٢) المصدر نفسه، ص٦.
(٣) المعلقات السبع، بشرح أبي جعفر النحاس النحوي، المتوفى سنة ٣٣٧هـ.
(٤) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، وهي اختيارات من الشعر الجاهلي لـ (امرئ القيس، علقمة، النابغة، زهير ابن أبي سلمة، طرفة بن العبد، وعنترة العبسي) اختيار العلامة يوسف بن سليمان الأندلسي الشنتمري، دار الفكر، الطبعة الأولى.
(٥) ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوي، المتوفى ١١٧هـ.
(٦) الصنوبري: الشاعر العباس أحمد حمد، المتوفى ٣٣٤هـ.

وديوان المتنبي(١)، ونقائض جرير(٢)، والفرزدق(٣)، كما ذكر ابن خير في فهرسه(٤).

وقد فتن أول ما فتن بأشعار المحدثين في المشرق وشعراء القرن الرابع الهجري، وأخذ من أبي الطيب المتنبي طريقته في مزج الحماسة بالغزل .

والحديث عن ثقافة ابن خفاجة يرتبط كذلك بالشيوخ الذين أخذ عنهم وتلاميذه الذين أخذوا عنه وتأثروا به؛ فقد جالس الفقهاء بالحلم والوقار، وأخذ عنهم العلم وضروب المعرفة .ومن" شيوخه الذين أخذ عنهم أستاذه أبو إسحاق بن صواب من شاطبه وابن تليد"(٥).

ومن الشعراء الذين ساجلهم ونادمهم وعارضهم الفقيه محمد بن ربيعة الذي نشأ معه في جزيرة شقر، وكانا من الانتظام والالتحام بحيث لم يكونا ينفصلان؛ يقول فيه:

ندٌّ تسّم عنه صدْر المُنتدى طرباً به واهتزّت الأنداد
وأخ لـودٍّ لا أخ لِـولادةٍ وأمسُّ مِن نسبِ الولاد ودادُ(٦)

(١) المتنبي: الشاعر العباسي المشهور أحمد بن الحسين، المتوفى ٣٥٤هـ.
(٢) جرير بن عطية بن حذيفة الملقب بالخطفي، ولد ٣٠ هـ.
(٣) الشاعر الأموي همام بن غالب بن صعصعة، المتوفى ١١٠هـ، وكانت له مساجلات مشهورة مع جرير، تعرف باسم النقائض.
(٤) الفهرسة، ما رواه عن شيخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، لأبي بكر محمد بن خير الإشبيلي، المتوفي ٥٧٥هـ، ص٣٩٥.
(٥) تكملة الصلة، أبي الزبير، تحقيق ليغيبونفر سال، ج١، ص١٤٣.
(٦) ديوان ابن خفاجة، ص٢٣٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهو يعده نداً له وصديقا وأخا، والأُخوَّة ليس أخوة الدم والنسب؛ ولكن أخوة الصديق الصادق . ومن أصدقاء الأديب أبو عبد الله بن عائشة، وابن خاقان، والشاعر ابن وهبون؛ يقول: "صاحبت في صدري من المغرب سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أبا محمد عبد الجليل ابن وهبون شاعر المعتمد"(١)، ثم ما لبث أن استقل بطابعه المميز، وأخذ يغترف من ينبوع قلبه وزمانه وبيئته .

ج /أثر البيئة في شعره:

عاش ابن خفاجة زمن ملوك الطوائف وإبان عصر المرابطين، وشغل عصر الطوائف في إسبانيا المسلمة زهاء سبعين أو ثمانين عاماً منذ انهيار الخلافة الأندلسية على أثر انهيار الدولة العامرية339 هـ (٢).

وكان ملوك الطوائف يتنافسون على العلم والأدب ويتسابقون على المجد، ويعمل كل منهم على أن يكون قبلةَ آمال الناس . وكانت البلاد في مدتهم فياضة برجالات العلم والعمل وخاصة ذوي المعرفة والدراية .

أما الحروب بين ملوك الطوائف فكانت متواصلة، وكان النزاع على العمران، واتساع الملك لا يقل عن التنافس على العلم والأدب، لذلك طمع فيهم الإسبان واضطر ملوك الطوائف إلى لاستعانة بالمسلمين .

هذا؛ "وقد شهدت بلنسية، موطن الشاعر، عدداً من الأمراء تتابعوا عليها، منهم القاضي بن حجاف، ومن يده أخذها السيد القنيطور487 هـ،

(١) ديوان ابن خفاجة، ص٣٦٧.
(٢) دول الطوائف، محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص٢٧٢.

ومنه استولى عليها المرابطون[١]. وقد بدأت" دولة المرابطين ... في الأصل أخوة دينية حربية في القرن الحادي عشر الميلادي ومؤسسها أحد الأتقياء هو عبد الله بن ياسين الصنهاجي"[٢].

وتسمية المرابطين مرجعها إلى موقعة حربية اشتبكت فيها قبيلة لمتونه الصنهاجية فأطلق عليهم مؤسسها اسم المرابطين لبلائهم وحسن صبرهم .

وكان من الطبيعي على دولة المرابطين التي نشأت نشأة دينية محضة أن ترفض علم الكلام والمنطق، وأن فقهاء لمتونه لم يكونوا منفتحين على العالم بل كانوا منغلقين على أنفسهم، فلا يتسع من حولهم نطاق الأخذ والعطاء في المسائل الفقهية ولم يعد لسياسة التسامح وجود؛ ولكن مالكية المرابطين التقليدية ظلت هي المحور الذي يدور حوله المؤرخون[٣].

لقد تراجع الأدب وهبطت منازل الشعراء في هذا العصر المرابطي لأن السيد الجديد لا يجيد اللغة العربية ولا يتذوقها، فكان من الطبيعي ألا يقدِّر الشعراء أو يثيبهم، فتوارى نجم كثير من الشعراء .

ولكن ابن خفاجة لم يتأثّر كثيراً؛ فقد كانت له ثروة أغنته عن ذلّ التكسب، وهو من طبقة الشعراء التي استطاعت أن تحمي رافداً من الروافد الأدبية ظل يتدفق منذ عصر الطوائف حتى تهيأ للمرابطين الاستقرار في الأندلس، والنهل من ثقافتها وحضارتها، ومن هنا بقي الطابع العام لشعر

(١) عصر الطوائف والمرابطون، إحسان عباس، ص٣٢.
(٢) الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، أحمد سعودة، ج٢، ص٢٣٢.
(٣) عصر الطوائف والمرابطين، إحسان عباس، ص٢٩٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هؤلاء في العصر المرابطي كما كان عليه من قبل، وعلى النقيض من هؤلاء الشعراء الذين عاشوا في بلاد الطوائف ارتبط مصيرهم بمصير الملك .

ويأخذ ابن خفاجة على الفقهاء الذين لا ينظرون إلى الشعر نظرة عقلية متجاوزين الذوق والتخيل[١]؛ يقول :" ولم أحتفل بنقد أقوامٍ في مساليخ أنعام يراءون الناس كثيراً ولا يذكرون الله إلا قليلاً ولا يعملون مع ذلك" [٢] ، وكان هؤلاء الفقهاء والقضاة عندما وجدوا ميدان الشعر فسيحاً أمامهم خالياً أو شبه خالٍ من الفحول أرادوا أن يخوضوه فكثر بينهم الشعراء[٣].

وفي هذا العصر شاع نقد المرابطين والتندر بالكتاب والفقهاء؛ لأن الشعراء وجدوا في المرابطين معنى الحرمان، فضلاً عن أنهم أصبحوا بعد ذلك عبئاً ثقيلاً لا على الشعراء وحدهم بل على الأندلس كلها، لأن هؤلاء الكتاب والفقهاء كانوا بمثابة الغاصب الذي استولى على مكانة الشعراء واتهمهم بالرياء لأنهم لا يعملون إلا للدنيا وإن تستروا وراء الدين، ويبدو أن رجال الدين انحرفوا حقيقة فاتخذوا الدين سبيلاً إلى المناصب الدنيا ووسيلة لابتزاز الأموال؛ وفي ذلك يقول ابن خفاجة معرضاً برجال الدين:

درسُوا العلوم ليملكوا بجدالهم فيها صُدور مراتبٍ ومجالسِ
وتزّهدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مالِ مساجدٍ وكنائسِ[٤]

(١) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، يوسف شلبي، ص٤٢.
(٢) ديوان ابن خفاجة، السيد مصطفى غازي الخطية، ص١٠.
(٣) دراسات أدبية، ص١٥٧.
(٤) ديوان ابن خفاجة، ص٣٣٦.

وفي ظل هذه الظروف؛ من سيادة طبقة الفقهاء على طبقة الشعراء، واضطراب الجزيرة في أوائل العصر المرابطي أصيب الشاعر بهزةٍ عنيفةٍ جعلته يصمت عن إنشاد الشعر مدة طويلة، و"لما انصدع ليل الشباب عن فجره ورغب الشيب عن هجره نزلت عنه مركباً وتبدلت به مذهباً، فأضربت عنه برهة من الزمان طويلة إضراب راغب عنه، زاهد فيه حتى كأني ما سامرته جليساً يشافهني أنيساً ولا سايرته أليفاً[١] يفاوهني لطيفاً".

ولم يصرفه عن قول الشعر تولي الشباب كما زعم، ولكن تأثره بالحالة السياسية على الرغم من عزلته السياسية؛ بدليل أنه لما جاء أبو إسحاق بن تاشفين مدحه ، و"لما دخل الجزيرة الأمير الأجل أبو إسحاق إبراهيم أمير المسلمين وفد عليه مهنئاً بالولاية مسلماً، فما لبث أن رفع واسني فارتهنني برّه وإجماله وارتبطني بشره وإقباله ومن اعتبط ارتبط"[٢].

أما الشعب فكان في صف الفقهاء؛ يريد أن يضم المرابطين بلاد الأندلس إلى ملكهم حتى يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم ويتخلصوا من دفع الضرائب .

وكانت الحرب بين المرابطين والأمراء حرب حصار لا حرب ميادين، فسارت كتيبة من جند المرابطين لحصار مردنية مستوطن المرية وبلنسية عام495 هـ، ومات ابن تاشفين أمير المسلمين عام500 هـ وبذلك تحققت رغبة الفقهاء والشعب بتوحيد ملك الإسلام في الأندلس، فأصبح لرجال الدين القول والفضل في عودة ابن خفاجة لقول الشعر، وله في مدحه:

---

(١) ديوان ابن خفاجة، ص٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أمـــا وأيـــاد انطقـــتني بحمـــده وقـد طـوقتني والحمامة تسجع[١]

والمتتبع لحياة ابن خفاجة يلاحظ أن هناك فترتين من حياته؛ الفتـــرة الأولى هي فترة لهوه ومجونه .وقد عبّر ابن خفاجة عن شدة تعلقه بالحياة من خلال شعر الخمر والغزل ووصف مجالس اللهو؛ من نحو قوله:

سـقياً لـيـوم أنخـت سـرحة رَّيـاً تلاعبهـا الريـاح فتلعب
سكرى يغنيها الحمامُ فتنثني طرباً ويسقيها الغمام فتشرب[٢]

فهو يتحدث عن فترة شبابه التي قضاها في اللهو واللعب .

ويصف مجلس شراب بقوله:

وصـــدر نـــادٍ نظمنـــا لـــه القـــوافي عقـــداً
في منـزلٍ قـد سـحبنا بظلـه العّـزّ بُـردا[٣]

كما يقول في شرب الخمر:

فرفقتهـا بكـراً إذا أقبلـها ألقت على وجهي قناعاً أحمراً[٤]

ويصف هذه الليلة التي قضاها في زيارة محبوبته التي بدت كـــالقمر عندما انحسر النقاب عنها، وهي ممشوقة القوام كشجر البان، وتفوح منها رائحة الصندل والعنبر؛ يقول:

يـا رُبَّ بـدرٍ زارنـي منـه الهـلالُ وقـد تلثّمْ

(١) المصدر نفسه، ص٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٨٩.
(٣) ديوان ابن خفاجة، ص٨٠-٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص١٣٩.

فرشفتُ فاهُ في اللثامَ أظنه كأساً تفدّمْ
وكأنَّه دُرٌّ تحلَّ في شعاعٍ قد تجسّمْ[١]

أما الفترة الثانية من حياته فهي فترة توبته ونسكه، وقد نشأ ابن خفاجة في بيت علم وأدب؛ لهذا نجده يحث على طلب العلم، فيقول :

عش طالباً أو عليماً فالجهل عين المحطة[٢]

وهو في هذه الفترة أقلع عن الشراب ومجالس اللهو التي كان يدعو إليها في شبابه:

ألا دعاني اليوم داعي النُّهى وقومت قدحي أيدي الخُطوبْ
وكنت خفّاق جناح الهوى جرّار أذيال التصابي سحوبْ[٣]

كما نجده يتحسر على ما بدر منه من معصية الله كما يذكر شبابه الذي ولى:

فيا شرخ الشباب إلا لقاءُ نُبل به على يأسٍ أوامُ
ويا ظلّ الشّباب وكنت تندي علي لقياء سرحتك السلام[٤]

وهو في حزنه لا يهمل الطبيعة ؛ بل يسعى إلى الانصهار معها كي تتجاوب معه .

---

(١) المصدر نفسه، ص٣٣٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٣
(٣) المصدر نفسه، ص٢١٢.
(٤) المصدر نفسه، ص٦٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويرى أن نهاية حياة الإنسان ستكون تراباً كما كانت أول الأمر، لذلك نجده يقول تحت عنوان "كفى حكمة الله":

كفى حكمة الله أنّك صائر ... ترابـاً كما سواك قبل فعدلكْ
وليس بخافٍ كيف كونُك ثانياً ... وها أنت راءٍ كيف كونُ أولك
فهلْ أنت في دارِ الفناءِ مُمَهّدٌ ... محلك في دار البقاء ومنزلك[١]

وهذا المعنى أخذه من قوله تعالى:" الذي خلقك فسّواك فعدلك" [٢] . ولذلك نجده في آخر عمره انقطع للتوبة والعبادة فيقول:

طوبى لعبدٍ قام خشية ربّهِ ... والليلُ قد ضرب الظلام رواقا
خضل المدامع خوف عرضة مالكٍ ... خضع الملوك له بها أعناقا[٣]

هذا؛ ولعل" خوف ابن خفاجة الشديد من الموت هو الذي دفعه إلى التفكير في الحياة بعد الموت، وقد صارت فكرة الموت تنتابه بين الحين والآخر وتتردد في شعره، حيث كان يغادر منزله وحيداً في جزيرة شقر ويمضي حتى إذا صار بين جبلين وقف يصيح : يا إبراهيم تموت فيردد الصدى كلماته، ويظل على هذه الحالة حتى يخر مغشياً عليه"[٤].

وكان يذهب في جزيرة شقر إلى بائع الفاكهة ويساومه على شراء ما عنده، فإذا سمى له البائع عدداً أو وزناً لفاكهة معينة نفذ ما طلبه شريطة أن ينتقي ما عنده بيده؛ أي إنه لم يكن يرضى بشيء دون الانتقاء أو الاصطفاء .

---

(١)ديوان ابن خفاجة ، ص٢١٥.
(٢) سورة الانفطار، الآية ٧.
(٣) ديوان ابن خفاجة، ص٢١٤.
(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٧.

وقد خلا ابن خفاجة في نهاية العمر للعبادة وانصرف عن الدنيا ولم يغادر جزيرته إلا قليلاً؛ نظرا لما سببه له السفر من صعوبات كما ذكر ذلك في رسالته إلى صديقه ابن صواب حيث يقول :" وما أخل بعهد المطالعة أن الجزيرة حرسها الله بحيث لا يسافر عنها ولا يورد عليها هذا ما أنا بسبيله من ضعف طبيعي وكل يتشبه بعي" (١).

وقد قدم ابن خفاجة تجربته الشعرية وحياته الفنية منذ بدأ يعالج الشعر حتى شروعه في جمع قصائد ديوانه التي ضمنها إلماعات نقدية في الحياة والكون؛ يقول في الزمان الذي يحط من قدر العظيم ويرفع اللئيم:

ما للزمان يجور في أبنائه حُكماً ويرمُقهُم بعينِ الغائبِ
فيحطُّ علّوهُم ويرفعُ سِفلهم فكأنهم قلمٌ بيمُنى كاتبِ(٢)

كما أنكر على معاصريه نقدهم إياه بقوله : "فلنقل لهذا الناعي عليها جئنا بمقطوعين أو ثلاثة في هذا الأسلوب السحيق واللفظ المشترك الضعيف بزعمكم فإن تشبه بمن ذكرناه، واستقل ثم عدل عنه يختار ما سواه عدّ ممن انفرد برأي قائل براه ولا محالة، فإن الشذوذ عن الإجماع لشذوذ في الطباع""(٣).

أيها العائب سلمى أنت عندي كثعاله
رامّ عنقوداً فلما أبصر العنقودُ طاله

(١) ديوان ابن خفاجة، ص٦٦.
(٢) ديوان ابن خفاجة، ص٣٥٧.
(٣) المصدر نفسه، ص١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وابن خفاجة كان يتكئ في قصائده أحيانا على المقدمات الطوال، وقد أثبت القطع النثرية مفردة أو ممزوجة بالقصائد؛ يقول:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كُلّها كفى المرء نُبلاً أنْ تُعدّ معايبُه

وأعدها لتكتب على قبره:

خليلي هل من وقفةٍ لتألّم على حدثي أو نظرة لترحّم
وهل بعد الردى من ثنيةً وهل بعد بطن الأرض دار مخيم

عصر الصنوبري وحياته:

هو أبو بكر أحمد بن محمد، وقيل محمد بن أحمد بن الحسن بن سرار الضي الصنوبري الأنطاكي الحلبي .

والقول بأنه محمد بن أحمد خطأ لأنه ذكر اسمه أحمد غير مرة في شعره؛ من نحو قوله معزياً نفسه في بعض الظروف:

أرْضَ حُكْمَ الزمان يا أحمدَ أرضَهُ إن تذُقْ ضحَية فقد ذقت مَحَضْهُ

مولده:

وُلد الصنوبري بأنطاكية484 هـ، وقيل275 ه؛ـ 888م . وأنطاكية من البلاد التي وقعت في حوزة سيف الدولة من سوريا الشمالية، ولكن منشأه ومرباه في حلب، التي قضى بها معظم حياته، وكان له بها قصرٌ فخمٌ حوله[١].

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٨٥.

أ /الحياة السياسية:

كانت الدولة الإسلامية طوال القرن الثاني وفترة من القرن الثالث الهجري، متماسكة الأطراف، إلا ما ندر عندما تقوم ثورة هنا أو فتنة هناك . أما نظم الحكم في الدولة العباسية فقد كان للفرس أثرهم الواضح فيه وبخاصة في الأساليب الحربية، والنواحي الاجتماعية في الأكل والشرب، بناء القصور، والمساكن .

ولكثرة الفرس وانتشارها في الدولة العباسية، كان من الطبيعي أن يطمعوا في الحكم، مما جعل العباسيين يقولون بأنهم أصحاب الحق الشرعي في الخلافة، ولذلك نشبت خلافات عديدة بين الفرس والعرب، إذ إن العرب يريدون استرداد مجد دولتهم، والفرس يريدون استعادة دولتهم الساسانية القديمة، لذلك فكر الخليفة المعتصم في إيجاد عنصر جديد يعتمد عليه دون الفرس، فاهتدى إلى الرقيق التركي لما له من قوة وصبر .

ولكن المعتصم باختياره للترك أخطأ خطأً كبيراً؛ لأن الرقيق الترك أخذوا يتعالون على الرعية، كما أن الاعتماد عليهم أحدث تحولاً كبيراً في تاريخ الدولة العباسية، لأن اعتمادها سابقاً على الفرس وهم أهل مدينة وحضارة، جعلها تتطور وتتقدم، أما العنصر التركي فلم يزدها شيئاً لأنهم بدوا لا يعرفون شيئاً عن الحكم ونظمه، ورغم ذلك نجد المعتصم قد هيأ لهم الاستيلاء على الخلافة ونقل عاصمته إلى دمشق حتى يكون بمنأى عنهم، ثم قتل المتوكل، وتولى الخلافة بعده المنتصر .

وبقتل المتوكل فتح الأتراك باب الشر على الخلفاء، ولابن المعتز أرجوزة يصور فيها أفعال الترك الشائنة ويمدح الخليفة قائلاً:

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في كُـلُّ يَـوْمٍ ملـك مقتـول أو خـائفٌ مـروَّعٌ ذليـلُ
أو خـالعٌ للعهـد كيمـا يغْـني وذاك أدنـى للـردَّى فـأدنَى[1]

فتعاقب الخليفة تلو الخليفة أدى إلى تدهور الدولة، التي غرقت في أصناف من اللهو والترف؛ من نحو بناء الخليفة المتوكل قصوراً عديدة بسامراء أنفق عليها أموالاً طائلةً . وإذا كان الأمر كذلك في الدولة العباسية، فمن البديهي أن تتدني الناحية المادية، وتنفد الأموال، وتخلى الخزائن، وحين يطالب الخليفة بدفع رواتب الجيش لا يستطيع ذلك .

وفي القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي" نشأت في المملكة الإسلامية دول صغيرة منفصلة عن بعضها، وكان هذا الانقسام حوالي سنة 324هـ-935م"[2]. ومن ثم فقد أدى انشغال الخلفاء بالخلافة والحروب الدائمة، لزيادة أراضيهم، إلى نسيان الدين وضعفه .وتناول المستشرق سيديّو هذا الموضوع قائلا: "وأخذ الإسلام يتأخر في ذلك الزمن بدلاً من أن يتسع، وأضاع الإسلام شيئاً من مكانته كثيراً ولم يستطع أوائل بني العباس والأمراء أن يوطدوا الوحدة الدينية فزاد الاضطراب والارتباك في كل مكان"[3].

---

(١) ديوان ابن المعتز، شرح وتحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ص٤٣.

(٢) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م، ص١.

(٣) المستشرق ل. أ. سيديو، تاريخ العرب العام، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ-١٩٧٦م، ص٤٥.

ومن البديهي أن يؤدي انقسام الدولة وضعف الإسلام فيها إلى تدهورها وانحطاطها .وقد استطاع سيف الدولة دخول دمشق ثم سار إلى غزو مصر، فحاربه كافور حتى هزمه، ودخل كافور حلب، وعقد مع سيف الدولة صلحا بالشروط نفسها التي عقد بها صلحا أواخر أيام الإخشيد[١]. وفي البلاط الحمداني نشأ الصنوبري، كما سنذكر ذلك في حياته .

ب /الحياة الاجتماعية:

في العصر العباسي الأول، كان المجتمع يتكون من العرب والفرس إلى أن جاء المعتصم وأدخل العنصر التركي في الدولة، وكان لهم دورهم في سياسة الدولة، ولما أدرك الخلفاء خطر الأتراك أرادوا تنحيتهم عن الحكم، فاستعانوا بالمغاربة والفراعنة وغيرهم من الجنود المرتزقة والقرامطة والأكراد، إلا أن الخلافة لم تسلم من خطرهم أيضاً، وكانت المنافسة قوية بين الأتراك والديلم، والذين كانوا يكونون الجيش[٢].

وانتشرت في المجتمع العباسي ظاهرة الرقيق والجواري ، وانقسم الرقيق نفسه إلى رقيق أسود ويتكون من السودان، الزنوج، والأسرى المجلوبين من شمال إفريقية، ورقيق أبيض :وهم الصغالية، والروم، والأتراك، والديلم، والأكراد[٣].

---

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط١٣، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ج٣، ص١٣٨.

(٢) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٣٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص٤٣٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وانتشرت مجالس الطرب والغناء، وانغمس فيها الخلفاء، وذكر الإمام السيوطي" أن الخليفة القاهر أمر في سنة421 هـ بتحريم القيان والخمر، وقبض على المغنين، وكسر آلات اللهو كما ذكر الحنابلة في أوائل هذا القرن، وأمر ببيع المغنيات من الجواري(١).

وكان لسيف الدولة مغني يدعى الهنكري، ومغنية عرفت بالجيداء، وكان يطيب له أن يستمع إليهما، كما كان يستمتع بموسيقى الفارابي .واهتم الخلفاء ببناء القصور في بغداد، ومدينة سامراء مما جعل الحمدانيين يتأثرون بهم .ومن أهم قصورهم قصر الحلبة الذي أجمع المؤرخون على فخامته وعظمته، وقد وصفه أحد المؤرخين البيزنطيين الذين شاهدوه بقوله: "إن الأسرى العديدين قد بنوا هذا القصر من معماريين ومثالين ونقاشين وحائكين، وكان يبذل لهم المكافآت السخية، وكان يحيطهم بالتعظيم، ويقدمهم في مواكب موسيقية ويأمر ضباطه باحترامهم، شأن المحاربين المشاهير، لأنهم كانوا مبدعي الجمال الذي كان يقدره سيف الدولة"(٢).

وكان هناك إسراف في المأكل والمشرب والملبس، وكان الزي الفارسي هو الزي الرسمي . أما لباس النساء فقد تطور لتأثرهن بالفارسيات، وشاع لبس المزركش، والمرصع بالدرر والجواهر . وفي القرن الرابع الهجري منع الرجال من ارتداء الملابس الملونة بينما لبستها النساء .

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، ط٢، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م، ص٣٨٦.

(٢) سيف الدولة الحمداني، مرجع سابق، ص١٥٧.

ولقد احتلت الديارات مكانة ظاهرة في مجتمع الحمدانيين، وكان لها دورها البارز في الحياة الاجتماعية والأدبية، هذه الروعة حركت مشاعر الصنوبري قائلاً:

أراقَ سِجالَةُ بالرقتينِ جنوبي صخُوبُ الجانبينِ
وأهْدَى للرصيف رَصيفِ مُزْنٍ يُعاودهُ طريرُ الطُرتينِ
معاهد بل مآلِفُ باقياتٌ بأكرمَ معهدين ومألفينِ

حتى قوله:

ألا يا منتزهي في دير زكي ألم تك نزهتي بك نزهتينِ
أُرددُ بين وردِ نداك طَرْفاً يُردَّد بين وردِ الوجنتينِ[١]

وقد شهدت هذه الأديرة ظاهرة غريبة؛ وهي عشق الغلمان والهيام بهم كما يهيم المجنون بليلى، ولم تقف المسألة عند هذا الحد بل تعدته إلى إصابة المحب بالغيبوبة، وأشهر هذه القصص قصة سعد الوراق وعيسى الراهب[٢].

ورغم موجة المجون هذه كانت هناك نزعة دينية حقيقية أظهرها رجال الدين تجاه الشعوبيين والزنادقة، كما ذكرنا في الحياة السياسية، فضلا عن ظهور الفرق والجماعات المسلمة، منهم السنيون والشيعة بسبب ضعف الإسلام وانقسام المسلمين .

(١) إحسان عباس، ديوان الصنوبري، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٤٩٣.
(٢) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص٤٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان بني حمدان شيعة رغم عروبتهم، إرضاءً للخلافة، وكان التشيع غالباً في الفرس، وكان الحمدانيون يكرهون الفرس، وقد علل بروكلمان تشيعهم بقوله: "إن سيف الدولة أعلن الطاعة للفاطميين عندما نشروا سلطانهم على مصر"(١)، ورد عليه مصطفى الشكعة بقوله: "ذلك خطأ فاحش من بروكلمان لأن الفاطميين لم يفتحوا مصر إلا سنة358 هـ أي بعد وفاة سيف الدولة بعامين، فضلاً عن كون الفاطميين إسماعليين"(٢) . والظاهر أن تشيع الحمدانيين كان ضرورة حتى يأمنوا جانب الخلافة، وكان أهل الذمة يقيمون في الدولة مقابل جزية تدفع للحكومة على حسب طبقاتهم .

ج /الحياة الثقافية:

من العوامل التي أدت إلى نهضة الحياة الثقافية في الدولة العباسية وتقدمها، تشجيع الدولة لرواد الحركة العلمية وبخاصة الأدبية؛ ببذلها الأموال، وتوليتهم بعض المناصب المهمة في الدولة .

وأيضاً كانت هنالك ثقافات عدة شائعة في الدولة العباسية؛ منها : الثقافة العربية الخالصة، والتي تعتمد على القرآن الكريم، وما يتصل به من علوم الدين، والشعر، والنحو، ثم الثقافة اليونانية، والثقافة الشرقية .

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار هذه الثقافات كثرة المدارس، وتشجيع الخلفاء، وظهور الفرق الدينية، وما كان يقوم بينها من جدل أدى إلى تطور الثقافة ونهضتها .

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب العربية، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م، ص٢٤٢.

(٢) سيف الدولة الحمداني، مرجع سابق، ص١٦٦.

وكانت توجد عدة مراكز ثقافية جذبت إليها العلماء والمثقفين؛ مثل : أصبهان، والري، والبلاط السامانى في بخاري، والذي وصفه الثعالبي بقوله :"كانت بخاري من الدولة السامانية، بمثابة المجد والكعبة، والملك ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر"(١).

وفي أواخر القرن الثالث الهجري كانت أول محاولة لضبط اللغة وعمل المعاجم؛ حيث وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي كتاب العين، ووضع الصاحب بن عباد كتاب المحيط .وعن تطور تأليف المعاجم يقول ابن خلدون: "إن كثيراً من العلماء اتخذوا كتاب العين أساساً لمعاجمهم"(٢).

أما النظم فلم تكن للأمويين نزعة أدبية شعرية كما كانت لدى العباسيين؛ إذ إن الحياة الاجتماعية عند كل منهما مختلفة، فالأمويون يصورون مشاكل مجتمعهم، أما العباسيون " فنلاحظ أن شعراء عصرهم لم يهتموا بقضايا مجتمعهم إذ إن معظم الشعراء قد عاشوا لأنفسهم وشهواتهم وملذاتهم"(٣).

كما كان هناك تطور في الحياة المادية، فضلا عن انتشار الشعوبية ودخول الثقافات الأجنبية، وتشجيع الخلفاء العباسيين، وأجزلهم العطاء للشعراء ..... كل ذلك أدى إلى ازدهار النظم في هذا العصر .

---

(١) أبو منصور عبد الملك الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م، ج٤، ص١١٥.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، دار الجيل، بيروت، ج١، ص٦٠٦-٦٠٧.

(٣) محمد عبد العزيز الكفراوي، تاريخ الشعر العربي، مطبعة الرسالة، مكتبة النهضة مصر، الفجالة، ج٢، ص١٥٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن أهم الكتّاب في هذا العصر الجاحظ، الذي يعد أبا النثر العربي، ومن أهم كتبه (الحيوان)، و(البيان والتبيين)، وغيرهما .

حياة الصنوبري:

أ /صداقاته:

من أهم صداقاته ما كان بينه وبين كشاجم والذي كان أقل منه مالاً، لذلك كان يرجو من صديقه أن يقاسمه ثراء العيش، وأن يغدق عليه من خيراته، فيصل كشاجم صديقه بقوله :

فألهتك بساتينُ ... ك ذاتِ النورِ والزهرِ
وما شيّدت للخلوةِ ... من دارٍ ومن قصرِ
وما جمعتَ من غرسٍ ... ومن فسلٍ ومن بدرِ
ونارنجٍ وريحانٍ ... جنّيٍ طيب النشرِ[1]

وقد وصف كشاجم صديقه بأنه "بحر ما له شط"[2]، وقد طلب كشاجم يد يد ابنته، وعزاه في فقد ابنة أخرى توفيت بكراً، وقد كانت بينهما مهاداة وصداقة قوية .

ولكن جفوة وقعت بين الصديقين فأبعدتهما، ولعل التنافس بينهما هو مصدر تلك الجفوة؛ أقصد :التنافس في الأساليب والمعاني والألفاظ ، والذي أدى إلى قرب نظمهما، وحينئذٍ تدخل النقاد، وبدأوا التفضيل بينهما، مما زاد من هوة الخلاف.

---

(١) ديوان كشاجم، دراسة وشرح وتحقيق عبد الواحد شعلان، ط١، مطبعة المدني، المؤسسة السورية بمصر، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٧٤.

(٢) ديوان كشاجم، ص١١٦.

وكان لتدخل كشاجم أثره الواضح في عودة العلاقات بينهما؛ إذ إنه نظم قصيدة يستدر بها عطف صديقه، ويعتذر له فيها، فعاد الصفاء والوفاء، واستمرت علاقتهما الأخوية، والتي لا ندري كم امتدت، وما كان من أمرها، وذلك لأن كتب الأدب لم تتحدث عن نهاية هذه الصداقة(١).

ويقول كشاجم في مدح صديقه:

ألا أبلغ أبا بكرٍ مقالاً من أخٍ برٍّ
يناديك بإخلاصٍ وما ناداك عن عُقرٍ(٢)

ونلاحظ أيضاً وجود بعض القصائد المتشابهة في ديوانهما؛ إذ وردت قصائد في ديوان كل منهما بما يدل على قوة التنافس بينهم، وذلك من نحو القصيدة التي وردت في مدح علي ابن محمد بن حمزة الهاشمي والتي مطلعها:

أُلقي في حبك القناعُ وصار كالرؤية السماعُ(٣)

فهذه القصيدة وردت في ديوان كشاجم مع اختلاف في بعض الألفاظ، وعلل نبوي عبد الواحد محقق ديوان كشاجم، هذه الظاهرة بقوله: " فمن الممكن أن يكون كشاجم قد أعطى القصيدة للصنوبري للاطلاع عليها وإبداء الرأي فيها، فأدخل على بعض الألفاظ تغييراً فبقيت عنده وضمت خطأً إلى أشعار الصنوبري"(٤).

(١) سامي الدهان، قدماء ومعاصرون، دار المعارف، مصر، ص٢٤.
(٢) ديوان كشاجم، ص١٥٠.
(٣) ديوان الصنوبري، ص٣٢٩.
(٤) ديوان كشاجم، ص٢٥٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب /أغراض شعره:

يرى سامي الكيال أن الصنوبري اهتم بشعر الطبيعة فقط، ولم يتناول أي غرض من أغراض الشعر الأخرى؛ إذ يقول" :لقد شغل الصنوبري بأفانين الطبيعة من أكاذيب البشر، وبروائع الأزهار عن وهج الدينار، وترك لزملائه الشعراء أن يعيشوا في جو من الرياء والتزلق، طمعاً بالدنانير التي كان ينثرها الأمير الحمداني فوق رؤوسهم بسخاء، فيهرعون إلى بلاطه ليمرغوا وجوههم على أعتابه، أما هو فقد كان في شغل عن هذا التزلق"(١).

ولكن بالرجوع إلى ما بين أيدينا من شعر الصنوبري نلاحظ عدم صحة ذلك القول؛ إذ إن الصنوبري لم يدع والياً في حلب ولا خليفةً عباسياً إلا مدحه ، فقد مدح ذكا بن عبد الله الأعور والي حلب، وأيضاً مدح ابنه المظفر في قصيدة وصفه فيها بالجود والكرم، وتتوالى المدائح على الولاة في حلب، حتى دخول عهد سيف الدولة، وله في سيف الدولة قصائد عظيمة تمجد دولته، وتصف شجاعته وبسالته في حروب الروم والقرامطة؛ ومنها قوله عندما غزا سيف الدولة الروم قائلاً:

تركتَ الرومَ بعضُهُمُ قتيلٌ ... يمُجُّ وبعضهُمُ أسِيرُ
ولَّما طارَ بأسُكَ أمس فيهمْ ... هفوا جزعاً كما تهفُوا الطيورُ
فقد ماتوا وما قُبِرُوا ولكنْ ... كأنَّ بيوتُهُمُ لهم قُبورُ
لسيف الدولة السيف الذي لد ... ـمنايا في غرارية زئيرُ(٢)

(١) سامي الكيال، سيف الدولة وعصر الحمدانيين، دار المعارف، مصر، شارع ماسبيرو، القاهرة، ص١٨١.

(٢) ديوان الصنوبري، ص٧٤.

ولكن القارئ لديوان الصنوبري يجده كغيره من شعراء عصره رغم أنه تميز من معاصريه بوصف الطبيعة فإنه تناول الأغراض الأخرى؛ من مدح وهجاء ورثاء وغزل وفخر.

ومن أهم مدائحه قصيدته في سيف الدولة الحمداني كما ذكرنا سابقاً، فضلا عن مدحه عددا من الأمراء العباسيين؛ من نحو أبي العباس أحمد بن سعيد الكلابي بقوله:

ما ضرَّ واشينا بالأمس حين وشىَ أن غادرَ الشَّوقُ في أسماعنا طرشا
كانت سرائر أفشتها الدموعُ وما ذنبُ الشجيِّ إذا سِرُّ الشجيِّ فشا[1]

كما نلاحظ إكثاره من الهجاء رغم تناوله للأغراض الأخرى؛ حيث إن ديوانه يحمل أكثر من عشرين مقطعا في الهجاء، ومنها قوله يهجو صهره:

ألا يا ابن الجنيد أسمعْ وما أنت بذي سَمْعِ
ولا أنتَ بذي ضُرٍّ ولا أنت بذي نفعِ[2]

وأيضاً قوله يهجو ضيعة:

لا قُدِّستْ دارُ السُّلَيْـ ـمانيةِ الشوهاء دارا
ما أهْلَهَا بالمُسْلِمِيـ ـن ولا اليهود ولا النصارى[3]

وكان الصنوبري كثير التغزل، وذلك لكثرة الجواري الحسان، وانتشارهن داخل حلب في البلاط الحمداني كما أسلفنا في الحياة الاجتماعية؛ ومن غزله قوله:

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٢٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ص١١٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

قضيبٌ في اعتدال واهتزازِ كُثيبٌ في ارتجاجٍ واهتزازِ
مُوازٍ بعضُهُ في الحُسنِ بعضا ولكن ماله هو من مُوازِي[١]

ومنه قوله في الغزل أيضاً:

ملأتْ وجهها علىَّ عُبُوساً واستثارتْ من المآقي رسيسا
صَرَفتْ وجهها فقُلتُ رويداً قد شربنا من الشباب كؤوسا[٢]

تشيعه:

من مراثيه لآل البيت، وخصوصاً للحسين بن علي، يتضح لنا جلياً أنّه كان يناصر مذهب الشيعة، ويظهر تشيعه في شعره، وذلك في قوله بأن الخلافة ليست للأمة، وإنما هي وصية من الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ولأبنائه من بعده وذلك بقوله:

حبـــاه بالوصـــيِّة إذْ حبـــاه وهـــو ذو دَنَـــقٍ[٣]

ولكنه لم يك مغالياً في تشيّعه، ولم يعتنق مذهب الإمامية الاثنا عشر الذي كان سائداً في ذلك العصر، ويذكر شوقي ضيف[٤] أن جعفر بن علي صاحب الزاب، وصله هو وأبيه ليعتنق الدعوة الإسماعيلية، ولكنه لم يعتنقها، ويدل على ذلك مهاجمته القرامطة الذين كانوا متصلين بالدعوة الإسماعيلية والذين هاجموا الحجيج يوم التروية وقتلوهم، فرثاهم الصنوبري بقوله:

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤١.
(٢) ديوان الصنوبري، ص١٨٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٨، دنق: مريض.
(٤) ضيف، العصر العباسي الثاني، ص٣٥٠.

دمُوعُهُمُ تجري خُشوعاً وخشيةً * وأرواحهم تجري على البيض والسُمْرِ

حتى قوله:

وما غسلوا بالماءِ بل بدمائهمْ * وما حنِّطُوا إلا من التُّربِ لا العطْرِ[1]

وأيضاً مدحه زيادة الله بن الأغلب صاحب تونس بعد أن هزمه أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين يؤكد عدم ميله للدعوة الفاطمية .

وحين يمدح الصنوبري آل البيت نجده كثيراً ما يميل إلى مدح جعفر الطيار والعباس جد العباسيين، وغيرهم من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وأيضاً كان يمدح الهاشميين من سلالة العباسيين مثل ابن العباس أحد أحفاد الرشيد؛ من نحو قوله:

أأبناء الخلافةِ من قُريشٍ وساسة أمْرِ عالمِنا المسُوسِ
أأنتم من حزونِ الدّهْرِ حتى توهَّمتُ الحُزونَ من الوُعُوسِ[2]

ج /ثقافته وتأثره:

نشأ الصنوبري بحلب التي كانت تعج بالكتب والمكتبات مما زاد من ثقافة قاطنيها حتى الصغار منهم، وبما أن الصنوبري نشأ في هذا الجو فقد عكف منذ نعومة أظفاره على الدرس، والتحصيل، حتى تخرج شاعراً ملماً بثقافات عصره، لذلك نجده يذكر بقراط وأرسطاليس في بعض أشعاره، من نحو قوله:

---

(١) ديوان الصنوبري، ص٩٧.

(٢) ديوان الصنوبري، ص١٨٥، الوعوس جمع وعس وهي الأرض السهلية.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بـأدقَّ مَنْ رسطالسٍ نظراً إذا * ناظرته وأشفَّ من بقراطِ[١]

وكان الصنوبري كثير التجوال في بلاد العراق، ويلم كثيراً بالموصل والرقتين ودمشق، وغيرها، هذا التجوال أثر في نفسيته وأكسبها حباً للطبيعة وافتناناً بها حتى امتزجت بدواخله، وارتبطت باسمه، فحينما نذكر الطبيعة نذكر الصنوبري حتى خلد اسمه بين عظماء الشعراء فقيل: (أبو نواس في الخمر، وأبو تمام في التصنع، والبحتري في الطيف، وابن المعتز في التشبيه، وديك الجن في المراثي، والصنوبري في النور والطير)[٢] .

د /تأثيره:

وكما تأثر الصنوبري بالشعراء السابقين فقد أثر في شعراء عصره، والشعراء الذين جاءوا من بعدهم، فوصفوا الطبيعة وأيدوا مذهبه، ومن هؤلاء صديقه كشاجم، والسري الرفاء، والخالديان، وفي بغداد تأثر به الوزير المهلبي الذي كان يروي أشعار الصنوبري وينشر طريقته في وصف الطبيعة، وأيضاً القاضي التنوخي الذي كان نديماً للمهلبي فتأثر به .

وكان تأثير الصنوبري واضحاً في أمير حلب وسيد البلاط الحمداني؛ إذ نجده يشبه نار الكانون والرماد بوجنة عذراء مسها الخجل فاستترت بحجاب أشهب .ويظهر تأثر الواثقي بالصنوبري في قوله يصف نار فحم الغضا بقوله:

وليلة شباب بها المفرق قد جمد الناظر والمنطقُ

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٧٩.

(٢) محمد زغلول، تاريخ النقد العربي في القرن الخامس إلى العاشر الهجري، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص١٣٦.

كأنمـــا فحـــم الغضـــا بيننـــا والنـــار فيـــه ذهـــبٌ مُحـــرَّقُ
أو ســـبيج في ذهـــب أحمـــر بينهمـــا نيلـــوفرٌ أزرقُ[١]

ويظهر تأثر الصاحب بن عباد بالصنوبري بقوله في الثلج:

أو ما ترى كانونُ ينثرُ وردُهُ * وكأنّما الدُّنيا به كافورةٌ[٢]

أما في مصر فقد أيد طريقة الصنوبري ونشرها الشريف بن الحســن العقيلي، والذي برز في هذا الجانب .

وتأثير الصنوبري لم ينحصر في عصره أو العصر الذي يليـــه، بـــل انتشر مذهبه وتأثيره حتى وصل إلى السودان عند محمد سعيد العباسي حين قال:

يا عهد جيرون كم لي فيك من شجنٍ * بـادٍ سقاكِ الرِّضا يـا عهد جيرونِ[٣]

والذي يشبه قول الصنوبري:

ولـي في بـاب جـيرون ظبـاءً * يُعاطيهـا الهـوى ظبيـاً فظبيـا[٤]

فكلمة جيرون ذكرت عند الشاعرين، وهي كناية عـــن مرتـــع اللهـــو والصبا، فقد ذكر المحل وأراد ما كان فيه، وجيرون في الأصل من منتزهات دمشق .

(١) آدم متز، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٣٦٥.
(٢) ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبـــة النهضـــة، بغـــداد، ص٢٢٩.
(٣) محمد سعيد العباسي، ديون العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص٨٠.
(٤) ديوان الصنوبري، ص٥١٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هـ /وفاته:

توفي الصنوبري سنة334 هـ كما ذكرنا بعد ولاية سيف الدولة لحلب بعام واحد، وقيل[١] بعد عمر يناهز الخمسين؛ إذ كان مولده سنة284 هـ، أما ما ذكره فؤاد سزكين[٢] من أن مولده كان سنة275 هـ فإنه يكون قد توفي بعد 59 عاماً .

ورغم هذه الاختلافات نجده يذكر في ديوانه ما يدل على عدم صحة القولين السابقين معلناً أنه بلغ السابعة والخمسين دالاً على تركه اللهو فيقول:

أُلقتْ رداءَ اللهو عن عاتقي * خمسٌ وخمسونَ مضتْ واثنتان[٣]

ومهما يكن من أمر فإن شاعرنا عطر سماوات الأدب العربي عبر عصوره بأريج نظمه البديع الذي يجعل القارئ لقصائده كأنه داخل هذه الطبيعة الحلبية الجميلة، لوصفه الدقيق والفعال والمؤثر، هذا الوصف الذي يدل على التمكن، وسعة الخيال وخصوبته، الأمر الذي ألبس قصائده ألواناً من التشبيهات الرائعة الجميلة التي تدل على عبقرية فذة، والتي تجعلك وكأنك بحلب تطوف بأفيائها، وجبالها، وبساتينها، وقصورها، وأنهارها، وأديرتها، حتى تشعر وكأنك ترى حواريها، وجواريها، وورودها، ونرجسها، شقيقها، ونارنجها.

(١) محمد رضوان الداية، مرجع سابق، ص٧٤، بروكلمان، تاريخ الحضارة، ج١، ص٩٧.
(٢) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، ج٤، ص٤٦.
(٣) ديوان الصنوبري، ص٥٠٣.

أوجه التشابه بين الشاعرين:

ابن خفاجة والصنوبري من الشعراء المجددين؛ وفي بيئتهما سِحر خلاب؛ تلك البيئة التي عرفت بكثرة ما فيها من أَنهار وبرك، ووديان، وعيون، ورياض، وزروع وثمار مختلف أُكلها، فَعشِقاها وتغنيا بمشاهدها الجذابة، وطبيعتها الصامتة والمتحركة؛ من سحاب، ومطر، ورعد، وبروق، وثلوج، وبدور ونجوم، وما يخالط ذلك من أَسباب اللّهو والأُنس، كما هو في حلب؛ والتي وصفها علماء التاريخ والرحالة، ووصفوا جمالها، وبناءها ومساجدها وحمَّاماتها وأُبّهتها ...إلخ[١]، ودمشق تلك البلدة المشهورة، قصبة الشام، وهي جنَّة الأَرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارةِ بُقعة، فقلّ أَن تمر بحائط إلا والماء يخرج منه في أَنبوب إلى حوض يشرب منه ويستقي الوارد والصادر، ... وليس بها مسجدٌ أو مدرسة أو خانق إلا والماء يجري فيْهِ على شكل بركة في صحن هذا المكان، والمساكن بها غزيرة، وهي في أَرضٍ مستوية تحيط بها من جميع جهاتها الجبال الشاهقة، وبها مفاوز كثيرة، وكهوف وآثار للأنبياء والصَّالحين لا توجد في غيرها . وبها فواكه جيّدة طيّبة تُحمل إلى جميع ما حولها من البلاد [٢]، وَبِهَا فلسطين، وبيت المقدس ...إلخ .

والشام عموماً هي وحي الأدباء، ومهبط الشعراء، ولذلك أَكثروا من ذكرها ووصفها والحنين إِليها .وأيُّ فنان لا يستخفّه الجمال؟؟!

---

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مج... ، ص٢٨٢. رحلة بن جبير وما بعدها، ط دار صادر: بيروت– لبنان، ص٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه، مج٢، ص٤٦٥. وانظر رحلة بن جبير، ص٢٣٤ وما بعدها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اشترك الشاعران في الإبانة عن غرض واحد وهو :وصف الطبيعة المتمثّل في أَهم عناصرها، والمشتمل غالباً علي وصف الرَّبيع وَالرياض ومعارض الأَرض السندسية وما يتصل بها من أزهار وثمار .والظواهر الجوية :كالسحب والغيوم وَالأَمطار وما يتصل بها من رعود وبروق، وبحار وأنهار، وخلجان، ووصف حيوان؛ كالفرس، وكلاب الصَّيد، والطيور والعصافير، وغيرها من أَلوان الطَّرد .

وَممَّا هو معلوم أَنَّ جمال الطبيعة بهذه الحال يبهر الإِنسان، ويبعث في النفس التفاؤل، ويعطي إيعازاً بالرَّاحة والسكون، وهي وسيلة لشرح ما في النفس من مكنون .ناهيك عن إِلهام الأَديب والشاعر، والتأَثير في نفسيته؛ وقد صَدقَ كُثّير[١]حينما قِيْلْ له :يا أَبا صخر، كيف تصنع إذ عسر عليك قول الشعر؟ قال :أَطوفُ في الرّباع الْمُخلِبة وَالرّياض الْمُعشبة، فيسهُل عليَّ أَرصنه، ويسرع إِليَّ أَحسنه [٢]. وَيُقال أيضا : إِنّه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشَّرف الْعالي، والْمكان الْخَضر الْخَالي[٣].

وشيءٌ آخر نود التَّطرق إِليه؛ وهو أَنَّ وصف الطبيعة قديم وأَصيل في الأَدب العربي على اختلاف عصوره، وهو من الفنون الأَدبيّة القديمة التي عرفها الشعراء منذ العصر الجاهلي؛ كما هو معروف عند امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وزهير بن أَبي سُلمى، وتبعهم في ذلك شعراء العصر

(١) هو أبو ضخر كُثيّر بن عبد الرحمن، أحد عُشّاق العرب المشهورين. وهو صاحب عزة بنت جميل. توفى سنة خمس ومائة بالمدينة، وفيات الأعيان، ج٤، ص١١٣- ١١٦ بتصرف.

(٢) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، بشرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١ دار الآثار للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م، ج١، ص٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٩.

الأموي، حتى إِذَا وصلنا إلى العصر العباسيّ الأَول وجدنا أَبا نواس، وَأَبا تمام، والبحتري، وابن الرومي .

أوجه الاختلاف:

على الرغم من التشابه أو التقارب بين الشاعرين في كثير منْ الأَحوال، فإن هناك بعض الفروق بينهما لابد من إِثباتها؛ وهي:

-عاش ابن خفاجة في العصر الأندلسي في عصر ملوك الطوائف، وعصر الدول والإِمارات على وجه الخصوص، بينما عاش الصنوبري في العصر العباسي الثاني حيث نشأ في حلب وزار دمشق ووصف منتزهاتها ومناظرها الخلابة .ولا ضير أَنْ نُوازنَ بين أَهل العصور المتباينة؛ فالهدف هو التّعرف على أَفكار الأَديب وَأُسلوبه، وخصائص النصوص في المعنى والمبنى، والصور والأخيلة واللغة .

ونَحن فِي موازنَتِنا هذه، إِنَّما نوازن بين شاعر وآخر، بين مصوّر وآخر؛ فنصف ما لكل منهما، وما عليه بأدقّ ما يمكن من التفاصيل، ونجتهد في رؤية المشاهد بأعينهما، وإدراكها بشعورهما .

-كما نهتم كثيراً بعنصرٍ مهم من عناصر الإِبداع الشعري، بوصفه معيارا لتقدير أَعمالهما الأَدبية؛ وهو) قضيّة اللَّفظ والمعنى؛ تلك القضيَّة الأَدبية النقدية التي كانت وما تزال محور جدلٍ لكثير من النقاد، قدامى ومحدثين؛ فهناك منْ قدم اللَّفظ على المعنى وقال :"ليس الشَأْن في إِيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وَإِنَّما هو في جودة اللَفظ وصفائه وحسنه وبهائه، وَنَزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومائهِ، مع صحة السّبك والتركيب والخلو من أَود النظم والتأَليف، وليس يطلب في المعنى إلا أَن يكون صواباً، ولا يقنع من اللفظ بذلك" (١).

وهناك منْ قدم المعنى على اللّفظ وقال :"الألفاظ خدم المعاني والمُصرَّفة في حُكمها، وكانت المعاني هي المالكة سياستها المستحقّة طاعتها، فَمَنْ نَصر اللفظ على المعنى كان كَمَنْ أزال الشيء عنْ جِهَتِه، وأَحاله عَنْ طبيعته، وذلك مظَنّة الاستكراه، وفيه فتحُ أبواب العيب(٢).

ومنهم منْ جمعَ بين القولين كابن رشيق في قوله :"اللَّفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته؛ فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللَّفظ، وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أَدواء الجسوم وَالأَرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة في السمع كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى"(٣).

---

(١) كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- لبنان: صيدا ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م نقلاً عن الجاحظ، ص٥٧- ٥٨.

(٢) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ص٨، ط١، دار المدني للنشر والتوزيع: جدة ١١٢هـ- ١٩٩١م.

(٣) العمدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط المكتبة العصرية. -لبنان: صيدا ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ج١، ص١١٢.

وإني أميل إلى القول الأخير؛ فاللَّفظ والمعنى كلاهما يشتركان في تحقيق الهدف المنشود؛ وذلك لأَنَّ الأَلفاظ أداة تصل من خلالها إلى المعنى المراد , فهي تعمل في تحسين معارض المعاني، وهذا رأي أغلب النقاد المحدثين والقدامى .

وفي أَلفاظهما ومعانيهما، بصفة خاصة ,نركز على ما تؤدّيه تلك الأَلفاظ من معان، لغرض الوصول إلى فكرة الشاعر وما يقصد إليه , ثم يكون الحكم بالجودة أو الرَّداءة لكليهما من خلال تتبع الأَلفاظ وموافقتها للمعاني التي يعبر بها كل شاعر؛ وذلك بـ"أن يكون اللفظ سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلوّ من البشاعة، وَأَنْ يكون المعنى موجَّهاً للغرض المقصود غيرَ عادلٍ عن الأَمر المطلوب" (١).

ولا تفوتنا طرافة المعنى، واستقامته وتماسك أجزائه، ووفاؤه بما يُراد منه، وشموله لموضوعه؛ فقد قيل : "للمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء، التي تزداد حُسناً في بعض المعارض دون بعض .وكم من معنىً حسن قد شين بمعرضه الذي أُبرزَ فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل في معنىً قبيح أُلبسه" (٢) ، ثم نوازنُ بين معنى ومعنى، وما لكليهما من المعاني المسبوقة والمبتكرة .

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الكتب العلمية: بيروت، ص٧٨-، ٩١.

(٢) المثل السائر، ابن الأثير، القسم الثالث، ص٢٥٤. وعيار الشعر، ابن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة، نعيم زرزور، منشورات دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ص١٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي حديثنا عن المعاني المسبوقة نُعوّلُ كثيراً على حُسن الأَخذ وتداول المعاني فإنَّه "ليس لأَحدٍ من أَصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني مِمِّن تقدّمهم، وَالصبّ على قوالب من سبقهم؛ ولكن عليهم، إِذا أَخذوها، أَنْ يكسوها أَلفاظاً من عندهم، ويبرزوها في معارض من عندهم، ويوردوها في غير حُليها الأُولى، ويزيدوها في حُسن تأَليفها، وجودة تراكيبها، وكمال حُليها ومعرضها؛ فإِنْ فعلوا ذلك فإنهم أحقُّ بها ممّن سبق إليها ...وإنّما ينطق الطفل عند سماعه من البالغين"(١).

ولا نغفل أَنَّ أَخذ المعنى بلفظه من السرقات الظاهرة المعيبة، وكذا أَخذه والتقصير فيه عمن تقدَّم .

ولكني أَقول : رغم وحدة الموصوف عند الشاعرين، فإن الصورة الشعرية لأَحدهما تختلف عن الآخر، لاختلاف تكوين الشخصية لكل منهما، والظروف المحيطة، كما أَنَّ "الناس يتفاضلون في الأَوصاف كما يتفاضلون في سائر الأَصناف، فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها، وإنْ غلبت عليها الإجادة في بعضها" (٢). ومن ثم يكون "أَجود الوصف ما يستوعب أَكثر معاني الموصوف، حتى كأَنَّه يصوّر لك الموصوف فتراه نصب عينيك" (٣).

ولَمَّا كان نعت الوصف إِنما هو ذكر الشيء بهيئته وأَحواله، و"لما كان أَكثر وصف الشعراء إِنَّما يقع في الأَشياء المركبة من ضروب المعاني، كان

(١) الوساطة بين المتنبئ وخصومه، القاضي الجرجاني، ص١٣٨. والصناعتين، ص١٩٦.
(٢) العمدة، ج٢، ص٢٩٤.
(٣) كتاب الصناعتين، ص١٢٨.

أَحسنهم مَنْ أَتى في شعره بأَكثر المعاني التي للموصوف مركب منها، ثم بأَظهرها فيه وأَولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته"[١] ، مع ملاحظةِ بُعْدَ النظر، وبراعة الخيال، وصدق العاطفة؛ فهما مما يجعل النَّص أَكثر جمالاً وروعة، ويُحفّز القارئ والسامع إلى مشاركة المؤلف فيما يحسّ ويُدرك .وهذا مقياسٌ آخر .

وهذا كلّه مما تطرقت إليه عند دراسة الأبيات الشعرية وتحليلها، والتي اخترناها بوصفها نماذج لشعر الطبيعة الذي جمع بينهما، والموازنة بين هذه المقطوعات، حين وضعها في الميزان العدل، دون ترجيح أحدهما على الآخر، ودون أهواء أو ميول شخصية لأحدهما، فإننا نعنى بالأدب والبيان لا الأشخاص .!!

(١)نقد الشعر، ص١٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع

- الأدب الأندلسي فنونه وموضوعاته، مصطفى الشكعة، دار العلوم للملايين، بيروت، لبنان .
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، ط1، دار المدني للنش والتوزيع :جدة 112هـ1991 -م .
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، وهي اختيارات من الشعر الجاهلي لامرئ القيس، علقمة، النابغة، زهير بن أبي سلمة، طرفة بن العبد، وعنترة العبسي، اختيار العلامة يوسف بن سليمان الأندلسي الشنتمري، دار الفكر، الطبعة الأولى .
- الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، مطبعة بيروت، 1927م.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، ط13، دار الجيل بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1411هـ1991-م .
- تاريخ الخلفاء، السيوطي، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، ط2، 1378هـ1959-م .
- تاريخ الشعر العربي، محمد عبد العزيز الكفراوي، مطبعة الرسالة، مكتبة النهضة مصر، الفجالة .
- تاريخ الشعوب العربية، بروكلمان، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار القلم للملايين، بيروت، 1968م .

- تاريخ العرب العام، المستشرق ل .أ .سيديو، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط2، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1388هـ1976-م .
- تاريخ المغرب والأندلس، د .أحمد مختار العبادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية .
- تاريخ النقد العربي في القرن الخامس إلى العاشر الهجري، محمد زغلول، دار المعارف، مصر، القاهرة .
- تكملة الصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، المعروف بابن الأبار، مطبعة السعادة .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- الحالة السياسية في تاريخ المغرب والأندلس، د .أحمد مختار العبادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية .
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1377هـ1957-م .
- دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د .سعد إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة .
- دول الطوائف، محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- ديوان ابن المعتز، شرح وتحقيق ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- ديوان ابن خفاجة، د .السيد مصطفى غازي، الناشر دار المعارف، الإسكندرية .
- ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد .
- ديوان الصنوبري، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان .
- ديوان كشاجم، دراسة وشرح وتحقيق عبد الواحد شعلان، ط1، مطبعة المدني، المؤسسة السورية بمصر، القاهرة، 1417هـ1997-م .
- ديون العباسي، محمد سعيد العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م.
- الروض المعطار في خير الأقطار، معجم جغرافي، محمد بن عبد الله الحميدي، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت .
- سيف الدولة وعصر الحمدانيين، سامي الكيال، دار المعارف، مصر، شارع ماسبيرو، القاهرة .
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، بشرح وتحقيق أحمد محمد شاكر، ط 1دار الآثار للنشر والتوزيع :القاهرة 1431هـ2010 -م .
- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - .لبنان :صيدا 1419هـ - 1998م .نقلاً عن الجاحظ .

- العمدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط المكتبة العصرية - لبنان :صيدا 1424هـ-2004 -م .
- الفهرسة، ما رواه عن شيخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، أبو بكر محمد بن خير الإشبيلي، المتوفي 575هـ .
- المثل السائر، ابن الأثير، القسم الثالث، ص .254وعيار الشعر، ابن طباطبا العلوي ، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، مراجعة، نعيم زرزور، منشورات دار الكتب العلمية :بيروت -لبنان .
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1993م .
- المعلقات السبع، بشرح أبي جعفر النحاس النحوي، المتوفى سنة 337هـ .
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط دار الكتب العلمية :بيروت.
- وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه إحسان عباس، وفي دائرة المعارف، بطرس البستاني، المجلد الأول، دار المعرفة، بيروت، لبنان .
- يتيمة الدهر، أبو منصور عبد الملك الثعالبي، تحقيق د .مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ-1982م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٢٤٨
٢.	Abstract	٥٢٤٩
٣.	المقدمة	٥٢٥٠
٤.	عصر ابن خفاجة الأندلسي وحياته:	٥٢٥١
٥.	أ / الحياة السياسية:	٥٢٥١
٦.	ب /الحياة الاجتماعية:	٥٢٥٢
٧.	ج /الشخصية الأندلسية:	٥٢٥٤
٨.	حياة ابن خفاجة :	٥٢٥٥
٩.	أ /مولده:	٥٢٥٥
١٠.	ب /ثقافته:	٥٢٥٦
١١.	ج /أثر البيئة في شعره:	٥٢٥٨
١٢.	عصر الصنوبري وحياته:	٥٢٦٦
١٣.	مولده:	٥٢٦٦
١٤.	أ /الحياة السياسية:	٥٢٦٧
١٥.	ب /الحياة الاجتماعية:	٥٢٦٩
١٦.	ج /الحياة الثقافية:	٥٢٧٢
١٧.	حياة الصنوبري:	٥٢٧٤
١٨.	أ /صداقاته:	٥٢٧٤
١٩.	ب /أغراض شعره:	٥٢٧٦
٢٠.	تشيعه:	٥٢٧٨
٢١.	ج /ثقافته وتأثره:	٥٢٧٩
٢٢.	د /تأثيره:	٥٢٨٠
٢٣.	هـ /وفاته:	٥٢٨٢
٢٤.	أوجه التشابه بين الشاعرين:	٥٢٨٣
٢٥.	أوجه الاختلاف:	٥٢٨٥
٢٦.	المصادر والمراجع	٥٢٩٠
٢٧.	فهرس الموضوعات	٥٢٩٤